

المركب الإسنادي وأحواله من منظور النحو الوظيفي- نماذج من القرآن الكريم

The predicative compound and his conditions from the perspective of functional grammar- examples from the Quran

بودرمكي*

دليلة مزوز

جامعة – باتنة 1_

جامعة – باتنة 1_

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

mekki.bouder@univ-batna.dzDoctora_dalima@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2024-10-22

تاريخ القبول: 2024-12-15

ملخص:

لقد اهتم اللغويون القدماء والمحدثون على السواء بدراسة المستوى التركيبي للغة، وكان لتناول التركيب الإسنادي نصيبا معتبرا من هذا الاهتمام، كونه يمثل نواة المعنى في الجملة، ولما كان النحو الوظيفي الأنموذج المعاصر الأكثر تكاملا واستيعابا للجوانب التركيبية والدلالية والبلاغية كان الأنسب في نظرنا لتناول هذه المسألة في القرآن الكريم، كونه نتاج تكامل بين الدراسة التداولية الوظيفية الحديثة للغة، ومخرجات علمي النحو العربي والبلاغة التقليديين، الذي كانت نشأتهما مرتبطة ارتباطا وثيقا بخدمة القرآن الكريم وحفظه من اللحن والتحريف، والكشف عن جوانبه الجمالية والأسلوبية، كما أنه لم ينل الحظ الأوفر من التطبيق على المدونات اللغوية العربية عامة، وعلى القرآن الكريم والحديث النبوي خاصة.

الكلمات المفتاحية: مركب إسنادي؛ نحو وظيفي؛ دلالة؛ مسند؛ مسند إليه.

Summary:

Ancient and modern linguists alike have shown significant interest in studying the syntactic level of language, with substantial attention given to the analysis of predicative structures, as they represent the nucleus of meaning in a sentence. Given that functional grammar is viewed as the most comprehensive contemporary model, encompassing syntactic, semantic, and rhetorical aspects, it is deemed the most suitable for addressing these matters in the Quran. This is because it integrates modern functional pragmatic linguistic studies with the outputs of traditional Arabic grammar and rhetoric, both of which were closely tied to serving the Quran, preserving it from errors and distortions, and revealing its aesthetic and stylistic aspects. Furthermore, this approach has not been widely applied to Arabic linguistic corpora in general, and particularly to the Quran and Hadith.

Keywords: Predicative Compound, Functional Grammar, Semantics, Predicate – Subject.

* - المؤلف المراسل.

مع بزوغ شمس اللسانيات الحديثة وتطور البحث اللغوي كان لابد من إعادة التفكير في مدى مواءمة مخرجات الدرس اللغوي الحديث مع النص القرآني، وذلك بغية الخروج بآليات لغوية محدثة لا تقطع الصلة بالدرس اللغوي العربي من جهة وتخدم اللغة القرآنية من جهة أخرى، ولعل أبرز النظريات التي كرس هذا المبدأ نظرية النحو الوظيفي، خاصة في نسخها العربية على يد أحمد المتوكل، إلا أنه لم ينل الحظ الذي نالته بعض النماذج النحوية الأخرى (كالنحو التوليدي مثلاً) من التطبيق الجاد على التركيب العربي، خاصة على التركيب القرآني، بالرغم من تكامله واستيعابه لكل الجوانب التركيبية والدلالية والبلاغية، وقد ارتأينا تسليط الضوء في هذا البحث على نظرة النحو الوظيفي للمركب الإسنادي وركنيه، ومدى قدرته على دراسة هذا التركيب وتحليله شكلاً ودلالة في النص القرآني، مقدمين أمثلة وشواهد قرآنية، معتمدين على المنهج التداولي الوظيفي، فكيف عالج النحو الوظيفي مسألة الإسناد في اللغة العربية؟ وإلى أي مدى يمكن تطبيق نظرية النحو الوظيفي على النص القرآني؟

1- مفهوم المركب الإسنادي:

يدل مصطلحا الإسناد والتركيب في أصل الاستعمال اللغوي على الضم والتأليف¹، ويختلف مفهومهما من حيث العموم والخصوص، فمصطلح التركيب يدل على عموم "ضم كلمة إلى أخرى فأكثر"²، أما مصطلح الإسناد فيدل على "ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة: أي على وجه يحسن السكوت عليه"³، فوصف المركب اللغوي

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ج:1، ص: 432، وأبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط. د.ت. ، ج:03، ص:105

2- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، 1421هـ/2000م، ج:1، ص: 15

3- على بن محمد السيد شريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت. د.ط. ص:22

بالإسنادي هو من باب التخصيص، فهو مركب لغوي حاصل من تركيب اسمين بحيث يكون أحدهما مبتدأ والآخر خبراً، أو من تركيب فعل واسم فيكون الاسم فاعلاً أو نائب فاعل¹.

2- ركننا الإسناد في النحو الوظيفي:

لم يرد في النحو الوظيفي ذكر للمركب الإسنادي ولا لطرفيه المسند والمسند إليه، ولا شك أن ذلك راجع إلى طبيعة هذا النحو القائمة على التركيز على وظيفة العناصر المشكلة للملفوظ اللغوي لا على العلاقات الشكلية القائمة بينها، ولكن هذا لا يعني أنه قد تخلص عن مفهوم الإسناد جملة وتفصيلاً، فأهمية هذه العلاقة فرضت عليه صب الاهتمام على عنصري الإسناد ضمن بنية الجملة، ويفسر ذلك اعتباره الحمل (وهو نتاج إسناد كلمة إلى عدد من الكلمات) أساس تركيب الجملة، يقول المتوكل: "نقصد بالجملة كلّ عبارة لغوية تتضمن حملاً..."²، فالحمل أساس الجملة عند الوظيفيين، وهو أساسها عند النحويين التقليديين كذلك.

1.2-المسند:

المسند في غير النحو الوظيفي هو أحد طرفي المركب الإسنادي، وهو ما يخبر به عن المسند إليه، ويقابله في النحو الوظيفي -غالبا-المحمول.

أ- تعريف المحمول:

هو ما دل على واقعة أو حدث يقوم بها مجموعة من الذوات، يقول المتوكل: "يحيل الحمل على واقعة، أي شيء يمكن أن يقال عنه إنه حدث في عالم من العوالم الممكنة، على شيء يمكن إدراكه إدراكاً حسياً (كأن يُرى أو يُسمع) ويمكن تأطيره في الزمان

1- ينظر: أحمد بن الحسن الأسترياذي الرضي، شرح الرضي على كافية بن الحاجب، تحقيق: حسن بن

محمد بن إبراهيم الحفظي، دار هجر، الجزيرة، مصر، ط: 02، 1993م، القسم: 1، ص: 18

2 - أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، ط: 1، 1987م، ص: 27

والمكان¹ فواقعة الكتابة مدلول عليها بالفعل (كتب)، ومشاركين اثنين على الأقل، فيمثل الفعل المحمول، ويمثل المشاركان فيه حدود الموضوعات.

والمحمول في النحو الوظيفي لا يكون إلا كلمة واحدة، أو شبه جملة، أو مركبا اسميا، فهو إما اسم (س) أو فعل (ف) أو وصف (ص) (اسم مشتق أو مصدر) أو ظرف (ظ)، أو مركب حرفي (م ح)² ويعتبر المتوكل أن الفعل هو الأولى بين المقولات المعجمية السابقة (الصفة، الظرف، المركب الحرفي) بأن يكون محمولا، ثم الصفة ثم الظرف ثم الاسم.³

ب- اشتقاق المحمول:

وللمحمول باختلاف مقولاته المعجمية صورتان: صورة مجردة تعبر عن أصله المعجمي، وصورة محققة يأخذها بعد أن يكون في السياق اللفظي المناسب، أي بعد خضوعه لقواعد تكوين المحمولات (الاشتقاق)، ويرى المتوكل في هذا الصدد أن أصل اشتقاق المحمولات والحدود على حد سواء هو الفعل بصيغته المجردة، ولا تكون إلا واحدة من الأوزان (فَعَلَ) أو (فَعَّلَ) أو (فَعِلَ) أو (فَعَّلَ) أو (فَعَّلَ) أو (فَعَّلَ)⁴، وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه الكوفيون، وتضطلع قواعد صياغة المحمول في البنية المكونية " بتحديد صيغة المحمول وإدماج الأفعال المساعدة أو الأفعال الروابط، على أساس قيم مخصص المحمول الجهي والزمني، والمؤشر لهما في البنية الحملية"⁵.

1 - أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، المغرب، ط:1، 1993م ص 14.

2 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرفي)، دار الأمان، المغرب، ط:1، 1995م، ص 124، والوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، ط:1، 1985م، ص:90.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص:67.

4 - ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط:2، 2010م، ص 190.

5 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي)، دار أمان، المغرب، ط:1، 1995م، ص:52.

ج- وظائف المحمول الدلالية:

- وتسند إلى المحمول وظائف دلالية في مستوى البنية الحملة، وهي:¹
- العمل: إذا صدر من عاقل ودل على حركة أو اضطراب، نحو المحمول (جاء) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾².
 - الحدث: إذا صدر من جماد، نحو (اقتربت) و(انشق) في قوله تعالى: ﴿إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾³.
 - الحال: إذا دل على شعور من عاقل غالبا، مثل المحمول (يفرح) في قوله تعالى: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁴.
 - الوضع: إذا صدر من ذات مراقبة لوضع، أي وضع مكاني نحو المحمول (مكث)، في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾⁵، أو زماني، نحو المحمول (غدوا) في قوله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾⁶، أو مكانة أو منزلة، نحو المحمول (رسول الله) في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾⁷.

د- مخصصات المحمول (الزمن والجهة)

ومادام المحمول يدل بالضرورة على واقعة كان لا بد أن ينظر إلى زمن حدوثها، والتكوين الداخلي لها، وعليه يسند إلى المحمول مخصصا الزمن والجهة، وبناء عليهما يصاغ المحمول في مستوى البنية المكونية، أما المخصص الأول فيشير إلى الزمن الذي يواكب الواقعة وقت التكلم عنها، فهي " تتحقق أثناء التكلم أو قبل التكلم أو بعده، فزمن تحققها في هذه الحالات

1 - ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دار الثقافة، المغرب، ط: 1، 1987م، ص: 17.

2- سورة الأعراف، الآية: 143

3- سورة القمر، الآية: 1

4- سورة الروم، الآية: 4

5- سورة النمل، الآية: 22

6- سورة القمر، الآية: 25

7- سورة الفتح، الآية: 29

على التوالي، (حاضر) أو (ماضي) أو (مستقبل)¹، أما المخصص الثاني (الجهة) فيشير إلى تمام الواقعة، أي عدم تجزئها وتشكلها في حيز زمني واحد، أو عدم تمامها، أي تجزئها إما بتكرارها أو استغراقها أو الشروع فيها أو مقاربتها أو تدريبها... ويتم ذلك بإدماج الأفعال المساعدة والأفعال الروابط، وهي الأفعال الناسخة والناقصة في النحو التقليدي العربي². وتختلف المحمولات غير الفعلية عن المحمول الفعلي، وذلك أنها: "لا تعبر في ذاتها عن المقولات الجهمية والزمانية، فتحتاج إلى عناصر نحوية تضطلع بالتعبير عن هذه المقولات، هذه العناصر النحوية هي ما اصطلح عليه بالروابط"³.

هـ- محلاتية المحمول:

يحدد لكل محمول عدد من الحدود، وبذلك نجد محمولات أحادية أو ثنائية أو ثلاثية، ونسعى ذلك بالمحلاتية الكمية للمحمول، ولا شك أن هذا يتوافق مع تقسيم الفعل في النحو التقليدي إلى لازم يكتفي بمفعوله أو متعدّ يفتقر لمفعول به أو أكثر، كما يجب تحديد طبيعة هذه الحدود وفق قيود التوارد التي يفرضها المحمول وهي السمات الدلالية التي يحملها الحد وتتوافق مع المحمول، فمثلا عندما نقول: أكل الكرسي الخبز، فالجمله لاحنة في نظر النحو الوظيفي، لأن الفعل أكل لا يصدر من جماد، لذلك يجوز: أكل الطفل الخبز، لأن الحد (الطفل) عاقل، أو وظائفه الدلالية، فالفعل: أكل في المثال السابق يحمل الوظيفة الدلالية (العمل)، لذلك يستوجب أن يحمل الحد الأول (الطفل) الوظيفة الدلالية (المنفذ)، أو ما يحاقلها، ويسمى ذلك المحلاتية الكيفية للمحمول⁴.

1 - أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، ط: 1، 1987م، ص: 13.

2 - ينظر: أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللغة العربية، دار عكاظ، المغرب، ط: 1، 1987م، ص: 27.

3 - أحمد المتوكل، من قضايا الرابط في اللغة العربية، ص: 47.

4 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة في اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، (البنية التحتية أو

التمثيل الدلالي)، ص: 79.

أ- إعراب المحمول:

يسند الإعراب إلى المحمول إذا كان فعليا إما لزوما أو بمقتضى بنيوي، أما بالمقتضى البنيوي فهو الذي تتغير فيه الحالة الإعرابية حسب السياق البنيوي¹، ومن ذلك بحسب الصرفات التي تضاف إلى الفعل (كأدوات الجزم أو النصب)، ومثال ذلك إسناد الحالات الإعرابية للفعل المضارع (الرفع والنصب والجزم).

أما للزوم يعني أن تلازم الحالة الإعرابية " المكون في مختلف السياقات البنيوية والوظيفية التي يرد فيها"²، فيكون مع الأفعال المبنية (الماضي والأمر والمضارع المتصل بأحد نوني التوكيد أو نون النسوة)، فتسند إلى الفعل المضارع الحالة الإعرابية في المستوى التجريدي وتظهر العلامة على السطح.

أما المحمول غير الفعلي فإن كانت مقولته التركيبية اسما أو صفة كان مرفوعا أو منصوبا، وذلك إما أن يعرب بنيويا، فتكون حالته الرفع أو النصب³. أما الظرف فيعرب بنيويا بحالة النصب، أو لزوما إذا كان مبنيا، أما المركب الحرفي فينظر إلى الاسم بعد حرف الجر الذي يأخذ حالة الجر.

2.2- المسند إليه:

يسهم في تحقيق الواقعة عدد محدّد من المشاركين يطلق عليهم مصطلح الحدود، والنّاظر في مختلف الجمل المنجزة يدرك أنّ قيمة هذه الحدود تختلف إذا ما نظر إليها في علاقتها بالواقعة، حيث يجد أنّ بعض الحدود يستلزمها تحقيق الواقعة ضرورة يقتضيها المحمول على وجه الإيجابارمثل: الحدّ المنقذ، والحد المتقبّل والمستقبل، وهذه الحدود تسمّى بالحدود الموضوعات، وفي مقابل هذه الحدود توجد حدود أخرى لا يتوقّف تحقيق الواقعة

1 - ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، دار الأمان،

المغرب، ط: 1، 2006م، ص: 98

2 - أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دار الثقافة، المغرب، ط: 1، 1987م، ص 33

3 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل

الصرفي)، ص: 113

على ذكرها، بل تؤدي دور مخصّصات إضافية محيطية بالواقعة، ومن ثمة يمكن الاستغناء عنها دون أن يؤثر ذلك في سلامة الحمل، الزمان والمكان... وتسعى الحدود للواح.

والحدود الموضوعات هي الحدود التي يقتضها تعريف الواقعة، ويمتاز بخاصيتين:

- خضوعها لقيود التوارد كما يتبين من المقارنة بين طرفي الأزواج الآتية:

1-أ) نامت هند ب) ؟ نام الكرسي / 2-أ) شرب خالد لبنا ب) ؟ شرب خالد خبزا

- وامتناع حذفها كما يدلّ على ذلك لحن الجمل الآتية:

أ) ؟ نامت ب) ؟ شرب خالد¹.

أ- بين الفاعل في النحو الوظيفي والمسند إليه في النحو التقليدي:

المسند إليه في النحو التقليدي هو العنصر الثاني في التركيب الإسنادي، وهو الذي يخبر عنه بالمسند، ويوافقه في النحو الوظيفي غالبا حد الموضوع الذي تسند إليه الوظيفة التركيبية أو الوجهية (الفاعل)، والفاعل في النحو الوظيفي هو " الوظيفة التي تسند "إلى الحد الذي يشكّل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدّم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل"².

وقد ورد مصطلح الفاعل عند النحاة التقليديين، فقصدوا به ذات العنصر الكلامي الذي أشار إليه النحو الوظيفي لا الوظيفة التركيبية، فهو عندهم: " كل اسم ذكرته بعد فعل، وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم"³، وتوسع بعضهم في تعريفه مهملين شرط تقدم الفعل عليه، ف(زيد) في قولنا: (زيد يعمل)، أو (يعمل زيد)، فاعل⁴.

1 - ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 72.

2 - أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دار الثقافة، المغرب، ط: 01، 2003م، ص: 19

3 - ابن عيش، شرح المفصل، ج: 1، ص: 20.

4 - ينظر: أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1،

2002م، ص: 490.

ومما سبق فيمكن أن نقول إنَّ ما تسند إليه وظيفة الفاعل في النحو الوظيفي هو ذاته المسند إليه في النحو التقليدي، سواء كان فاعلاً أو مبتدأً، باستثناء ما حمل الوظيفة التداولية المبتدأً، أو بعض ما حمل الوظيفة التداولية الذيل.

ب- سلمية إسناد الفاعل:

يمكن أن يسند الفاعل إلى أحد الحدود الموضوعات الحاملة لوظائف: المنفذ وما يحاقله (القوة، والحائل، والمتموضع، والمتحمل، المتقبل، المستقبل...) ¹ نحو:

-انطلق خالد (منفذ) -اتكأت هند (متموضع) - بنيت الدار (متقبل)

أو الحدود اللواحق: الزمان، المكان، المستفيد، الأداة،... نحو:

-صيم يوم الاثنين (زمان) -سير أربعة فراسخ (مكان)

ويخضع إسناده " لسلمية دلالية معيّنة، سلمية تقوم الوظائف الدلالية التي تحملها الموضوعات واللواحق، فالفاعل يسند بالدرجة الأولى إلى الحدّ المنفذ (أو أحد الحدود المحاكلة له)، ويسند بالدرجة الثانية إلى الحد المتقبل إذا لم يكن في الحمل حد متقبل ... " ².

ج- أشكال الفاعل:

الحدود بصفة عامة في النحو الوظيفي قسمين؛ حدودا بسيطة وأخرى معقدة، الحدود البسيطة هي "الحدود التي تقوم على اسم عاديّ (غير مشتقّ) يرد منفرداً أو مصحوباً بمقيّدات أخرى" ³ ، أمّا الحدود المعقدة فهي حدود تتميز بأنها تشكّل، في ذاتها، حملاً كاملاً أو أن تتضمّن حملاً قائم الذات، وهذا يعني أنّ الحدود البسيطة هي الحدود التي لا تشكّل حملاً ولا تتضمّن حملاً، ⁴ وينطبق هذا على الحد الحامل لوظيفة الفاعل، ففي قوله تعالى:

1 - ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 186

2 - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص: 111

3 - أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ، المغرب، ط:1، 1993م، ص: 39

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 39

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹، الناس حد بسيط، أسندت إليه وظيفة الفاعل، والمحمول هو: (يقوم)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾²، (أن تصوموا)، حد معقد جاء حملا كاملا، أسندت إليه وظيفة الفاعل، والمحمول هو: (خير).

د- الوظائف التداولية المسندة للفاعل:

المقصود بالوظائف التداولية، حسب النحو الوظيفي "وظائف تسند إلى مكونات الجملة بالنظر إلى ما يربط هذه المكونات في البنية الإخبارية: أي بالنظر إلى المعلومات التي تحملها هذه المكونات في طبقات مقامية معينة، بعبارة أخرى، تسند الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة طبقا للعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة"³، وهذا يعني أن تحديدها مرتبط أشد الارتباط بالسياق في بعده المقامي والمقالي.

ويسند إلى الفاعل باعتباره عنصرا من عناصر الحمل إحدى الوظيفتين الداخليتان: البؤرة أو المحور.

أما وظيفة البؤرة: فهي تلك الوظيفة التي تسند إلى "المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة"⁴، و"التي يعتقد المتكلم أنها أخرى أن تدرج في مخزون معلومات المخاطب"⁵، ويميّز نوعان من البؤر: الجديد وبؤرة المقابلة، بؤرة الجديد هي "البؤرة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجعلها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب)"⁶ أما بؤرة المقابلة فهي "البؤرة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها"⁷، ومثال ذلك الفاعل (عمر) في قولنا: جاء عمر، تسند إليه وظيفة البؤرة الجديد، كون المخاطب يجهل الذي جاء فيسأل عنه ب: من جاء؟، بينما تسند وظيفة بؤرة

1- سورة المطففين، الآية: 06

2- سورة البقرة، الآية: 184

3 - أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، ص: 17

4 - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، ط: 1، 1985م ص: 28

5 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص) دار

أمان، المغرب، ط: 1، 2001م، ص: 116

6 - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 28

7 - المرجع نفسه، ص: 29

المقابلة إلى الفاعل (خالد) في قولنا: ما جاء إلا خالد، لأن المخاطب يظن أن المجيء كان من ذوات أخرى غير خالد، بينما يرفع المتكلم هذا الظن بقصره المجيء على خالد فحسب.

أما وظيفة المحور: فيشكل المعلومة المتفق عليها بين المتكلم والمخاطب ولذلك عرفه ديك بأنه وظيفة تداولية تسند إلى "الذات (بالمعنى الواسع) التي تشكل محطاً خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في خطاب ما"¹، ويمكن إسناد وظيفة المحور إلى المكوّن الفاعل لتمييزه بالأسبقية في أخذ هذه الوظيفة.

هـ- إعراب الفاعل:

يرتبط إعراب أي حدّ من حدود الحمل في النحو الوظيفي بالوظيفة أو الوظائف التي تسند إلى ذلك العنصر، وعليه فالحدّ الحامل لوظيفة التركيبية الفاعل في النحو الوظيفي، تسند إليه الحالة الإعرابية الرفع².

3.2-رتبة المسند والمسند إليه:

تعكس نظرة النحو الوظيفي لرتبة عناصر الملفوظ اللغوي منطلقها الأساس في التفسير، وهو ربط البنية بالوظيفة وأسبقية الوظيفة للبنية وتحديد لها، والوظيفة المقصودة، حيث يقول المتوكل: "إذا أسندت لمكون ما إحدى الوظائف التداولية فإنه يحتل الموقع الذي تقتضيه هذه الوظيفة أيًا كانت وظيفته التركيبية وأيًا كانت وظيفته الدلالية ... إذا ورد مكوّن ما حاملا لوظيفة تركيبية ولم يكن مسندا إليه أي وظيفة تداولية فإنه يحتل الموقع الذي تقتضيه وظيفته التركيبية ... أمّا إذا تعلّق الأمر بمكوّن لا يحمل لا وظيفة تركيبية ولا تداولية فإنه يتموقع بمقتضى الوظيفة الدلالية التي يحملها"³.

وتترتب المكونات في الجملة في اللغة العربية حسب البنية الموقعية الآتية:

- في الجملة الفعلية⁴:

1 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص).

ص: 111

2 - ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 19.

3 - أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص: 47.

4- ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 158

م4، م2، م1 Ø ف (مT) فا مف ص، م3.

- في الجملة الاسمية:

م4، م2، [م1 Ø ف] {م ص / م س / م ح / م ظ} مف (ص)، م3. [ص:ص1...ص:]

- المواقع في الجملة الرباطية:

م4، م2، [م1 Ø ط ف] {م ص / م س / م ح / م ظ} مف (ص)، م3. [ص:ص1...ص:]

حيث: م1: أدوات الاستفهام والشرط والمؤكدات، مØ: المكونات التي تلحق بها الوظائف التداولية البؤرة والمحور، و(م4)، (م2)، (م3): مواقع المندى والمبتدأ والذيل على الترتيب، و (مT) مخصص للمكون الذي تسند إليه الوظيفة التداولية المحور، وتمثل (ف، فا، مف) الفعل والفاعل ومفعول به، أما (ص) فيمثل المكون الذي لا وظيفة تركيبية ولا تداولية له، و(ط) يمثل الرابط، أما (م ص، م س، م ح، م ظ) فتمثل المركب الوصفي أو الاسمي أو الحرفي أو الظرفي على الترتيب.

ويرفض النحو الوظيفي مبدأ انتماء العربية إلى اللغات ذات الرتبة الحرة، باستثناء ما يُسند إليهما الوظيفتان التركيبيتان "الفاعل والمفعول"، فليست الجمل: (أنشد الشاعر القصيدة -الشاعر أنشد القصيدة. - القصيدة أنشد الشاعر-أنشد القصيدة الشاعر) مترادفة يمكن معاقبتها في نفس المقام، وإنتاجها على أساس تأديتها لنفس الغرض وإن تماثلت وحداتها المعجمية والعلاقات الدلالية والتركيبية التي تقوم بين هذه الوحدات فقط¹.

3- نماذج تطبيقية من القرآن الكريم:

سنحاول فيما يأتي تطبيق ما جاء به النحو الوظيفي على بعض المركبات الإسنادية

في آيات قرآنية مختارة، مدعمين ذلك بشيء مما ورد في إعرابها وأسلوبها وتفسيرها.

• قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾²:

1 - ينظر: أحمد المتوكل، أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، (قضايا ومقاربات)، دار الأمان، المغرب،

ط:1، 2005م، ص: 33/32

2- سورة البقرة، الآية: 45

بدأت الآية الكريمة بجملة فعلية بسيطة، تحمل القوة الإنجازية الأمر، يتكون مركبها الإسنادي من مسند (محمول فعلي) (استعان) مشتق من الفعل المجرد (عان)، ويدل على (عمل) لأنه صادر من عاقل ويدل على حركة واضطراب، وتسند إليه الحالة الإعرابية الرفع لزوماً، أمّا المسند إليه (موضوعه) فهو الضمير المتصل (واو الجماعة)، ويحمل الوظيفة الدلالية (المنفذ)، لأنّه يدل على العاقلين، وقد اختلف فيهم بين قائل بأنهم المؤمنون بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبين قائل بأنهم بنو إسرائيل وهو الأقرب عند الرازي¹، والأرجح عند ابن عاشور²، والظاهر من قول الزمخشري³، وذلك بالنظر إلى سياق الآيات السابقة، كما يحمل الوظيفة التركيبية (الفاعل)، ويحمل الوظيفة التداولية (المحور)، وتسند إليه الحالة الإعرابية الرفع، وبذلك تمثل البنية التحتية الوظيفية للمركب الإسنادي (استعينوا) كالتالي:

[ر] تا [مس (عان) { استفعل } ف (س1: (الواو) (س1)) منف فا مح]]

حيث: ر: أمر، مس: مستقبل، ف: فعل، تا: تام، س: حد موضوع الحمل الأساسي، منف: منفذ، فا: فاعل، مح: محور.

● قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمُشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁴: بدأت الآية الكريمة بجملة اسمية مركبة، المسند فيها (لله) محمول حرفي (جاروجرور)، ويؤشر حرف الجر (ل) فيه على الوظيفة الدلالية الوضع، وذلك لأنّ الآية تبين مكانة المشرق والمغرب وملكيتهما المطلقة لله وحده، وإنما قدّم على المسند إليه "للاختصاص، أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين"⁵، أمّا المسند إليه (حد الموضوع الأول) فهو الاسم (المشرق)، وهو اسم مكان على وزن

1 - ينظر: محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1401هـ/1981م، ج: 3، ص: 21.

2 - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، د.ط، ج:1، ص: 477.

3 - ينظر: أبو القاسم جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، ط:3، 1430هـ/2009م، ص:74.

4- سورة البقرة، الآية: 115

5 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج:1، ص: 683

(مَفْعَل)، مشتق من الفعل (شرق)، وتسند إليه الحالة الإعرابية الرفع، باعتباره يحمل الوظيفة الدلالية الفاعل، ويحمل الوظيفة التداولية المحور، لأنه متفق عليه بين المتكلم (الله تعالى) والمخاطب (المؤمنين) أن المشرق ملك لله تعالى وحده، وبذلك تمثل البنية التحتية الوظيفية للمركب الإسنادي (الله المشرق) كالتالي:

[خب] غ تا [حض (ع س ي: الله س م ح (س ي)) (س1: ع 1 ذ مشرق)) متض
فا مح]].

حيث: خب : خبر ، حض: حاضر، فا: فاعل، غ تا: غير تام، س: حد موضوع الحمل الأساسي، متض: متموضع، مح: محور.

● قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾¹:

تستهل الآية بجملة فعلية بسيطة، المسند في مركبها الإسنادي الفعل المضارع (يخشى) (محمول فعلي)، يدل على حال لأنه يعبر عن شعور العلماء المؤمنين وهو الخشية، وتسند إليه الحالة الإعرابية الرفع بالمقتضى البنيوي، لأنه مجرد من النواصب والجوازم، أما المسند إليه فهو حد الموضوع (العلماء)، حيث تسند إليه الوظيفة الدلالية (الحائل)، والوظيفة التركيبية (الفاعل)، وتسند إلى الحمل (يخشى الله - من عباده العلماء) الوظيفة التداولية (بؤرة المقابلة) باعتباره متصداً بـ"إنما"، والقصر بـ"إنما" يفيد "اثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه"²، وبذلك فالظاهر أن الأسلوب هنا أسلوب قصر إضافي، وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين إلى جميع ما عداه³، ومعناه أنّ خشية الله تعالى بالوجه المطلوب صفة لا تتجاوز العلماء إلى غيرهم من أهل الجبل.

وقدّم الحدّ لفظ الجلالة (الله) الذي تسند إليه الوظيفة الدلالية (المتقبل) والوظيفة التركيبية (المفعول)، على الحد (العلماء) الذي تسند إليه الوظيفة الدلالية (الحائل)، والوظيفة التركيبية (الفاعل)، والوظيفة التداولية (المحور) من باب التعظيم. وبذلك تمثل البنية التحتية الوظيفية للمركب الإسنادي (إنما يخشى الله ... العلماء)

كالتالي:

1- سورة فاطر، الآية: 28

2- ابن منظور، لسان العرب، ج: 13، ص: 31

3- ينظر: الخطيب القزويني، لإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، د-ط، د-ت، ص: 70

[خب]تا[حض (خشي) ف (ع ج ذ س1: العلماء (س1)) حائل فا]] بؤ مق]]

- قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾¹:

بدأت الآية بجملة فعلية ماضوية متصدرة بـ "قد" لغرض التوكيد والتقريب للحال، مركبها الإسنادي مكون من المسند (المحمول الفعلي) الفعل الماضي (خلت)، وهو يحمل الوظيفة الدلالية (الحدث)، لأنه صادر من ذات غير عاقلة، والمسند إليه (حد الموضوع الأول) (سنن) يحمل الوظيفة الدلالية (القوة)، وتسند إليه الوظيفة التركيبية (الفاعل)، والوظيفة التداولية (المحور)، أما المركب الحرفي (من قبلكم) فتسند إليه الوظيفة الدلالية (الزمن)، بينما تسند الوظيفة التداولية (بؤرة المقابلة) للحمل كله (خلت من قبلكم سنن) لتصدره بأداة توكيد، فبالرغم من كون المخاطب مؤمناً² مدركاً لحقيقة اندثار وذهاب سنن السابقين من الأقوام إلا أنه قد يغفل عن استخلاص العبر من ذلك، وقيل أَنَّ المخاطب هم الكفار³، وعليه فهم غافلون عن أحوال الأمم قبلهم، منكرون لما أصابهم بسبب كفرهم وطغيانهم.

وتمثل البنية الوظيفية للجملة كما يلي:

[خب] تا[مض خلى ف ((ن ج ث) س1: سنة (س1)) قوة فا مح (ع س ي: قبلكم س م ح (س ي)) زم]] بؤ مق]]

- قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾⁴:

تبدأ الآية القرآنية بجملة اسمية مركبة ، تتكون من مركبين إسناديين حسب النحو التقليدي العربي، مركب إسنادي للجملة الكبرى، مكون من مسند إليه مبتدأ وهو اسم الإشارة (تلك)، ومسند إليه خبر، وهو الجملة الفعلية (نداولها بين الناس)، ومركب إسنادي للجملة الفرعية الواقعة خبراً (نداولها بين الناس) بين المسند الفعل (نداول) والمسند إليه الضمير المستتر (نحن)، بينما لا يرى النحو الوظيفي في العبارة إلا مركباً إسنادياً واحداً، وهو

1- سورة آل عمران، الآية: 137

2 ينظر: أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، تحقيق: صديق محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط.

1432هـ/2010م، ج 3 ص 66

3- ينظر: المرجع السابق، ص: 66

4- سورة آل عمران، الآية: 140

المتضمن في الحمل (نداولها بين الناس)، حيث يمثل الفعل (نداول) المحمول، الحامل للوظيفة الدلالية (العمل)، والضمير المستتر (نحن) حد الموضوع الأول الذي يحمل الوظيفة الدلالية (المنفذ) والوظيفة التركيبية (الفاعل)، بينما لا يمثل اسم الإشارة في بداية الجملة إلا مخصصاً إشارياً للحد (الأيام) الذي يعد حداً خارج الحمل، تسند إليه الوظيفة التداولية (المبتدأ).

ولفظ الإشارة يأخذ قيمة البعيد، وهو هنا يحيل على فكرة أن " الأيام على قديم الدهر لا تبقى لناس على حالة واحدة، والمراد بالأيام أوقات الغلبة والظفر"¹، وهو هنا " بمنزلة ضمير الشأن لقصد الاهتمام بالخبر"²

وبناء على ما سبق يكون تمثيل البنية الوظيفية للجملة كالتالي:

الأيام مب [خب] تا [حض داول ف ((ع ج ذ) س 1: Ø (س 1)) منف فا بؤمق ((ع 1
ث) س ي : ها (س ي)) متق مف مح [[

الخاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها الكشف عن مدى قدرة نظرية النحو الوظيفي على دراسة التركيب الإسنادي في القرآن الكريم إلى النتائج التالية:

- إن النحو الوظيفي على الرغم من لغته الواصفة الغارقة في التعقيد، يمكن أن يطبق على النص القرآني لاستيعابه كل الجوانب التركيبية والدلالية والبلاغية، مع تكييفه مع خصائص الخطاب القرآني بالاستفادة من معطيات النحو والبلاغة العربيين.
- ينظر النحو الوظيفي إلى عنصري التركيب الإسنادي نظرة تتجاوز البعد الموضوعي التركيبي لها إلى البعد الوظيفي، فالفاعل والمفعول مثلاً ليسا عنصراً يحددهما

1 - ينظر: أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، ج 3، ص: 68

2 - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 100.

التركيب في الجملة بل هما وظيفتان تسندان إلى العنصرين اللذين توفرت فيهما المواصفات السياقية التي تخولهما بحملها.

- يرى النحو الوظيفي أنّ المحمول يسند إلى عدّة حدود مواضيع ليشكل الحمل، أحدها تسند إليه وظيفة الفاعل، وآخر تسند إليه وظيفة المفعول، بينما يقتصر المركب الإسنادي من منظور النحو التقليدي على اعتبار الإسناد علاقة بين عنصرين فقط المسند (الفعل أو الخبر) والمسند إليه (الفاعل أو المبتدأ).
- لقد ثمن النحو الوظيفي الحالات الإعرابية للعنصر داخل الجملة (الرفع والنصب والجر) وجعل لها قيمة وظيفية في التركيب، وهذا يدل على عمق تأثير النحو الوظيفي عند المتوكل بمخرجات النحو التقليدي العربي.
- لم تقتصر نظرة المتوكل في النحو الوظيفي على النموذج البصري للنحو العربي، بل كانت نظرة شاملة اتسعت لبقية المدراس النحوية معتمدة على معيار التوافق مع الاتجاه الوظيفي التداولي، والدقة العلمية الموضوعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي)، دار أمان، المغرب، ط:1، 1995م.
2. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دارالهلal العربية، المغرب، ط:1، 1993 م .
3. أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، (قضايا ومقاربات)، دار الأمان، المغرب، ط:1، 2005م.
4. أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، ط:1، 1987م.
5. أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، ط:1، 1987م.
6. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط:2، 2010م.
7. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، دار الأمان، المغرب، ط:1، 2006م.
8. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، ط:1، 1985 م .
9. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ، المغرب، ط:1، 1993م.
10. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص) دار أمان، المغرب، ط:1، 2001م.

11. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرفي)، دارالأمان، المغرب، ط: 1، 1995م.
12. أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دارالثقافة، المغرب، ط: 1، 1987م.
13. أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، دارالثقافة، المغرب، ط: 1، 1987م.
14. أحمد المتوكل، من قضايا الرابط غي اللغة العربية، دار عكاظ، المغرب، ط: 1، 1987م.
15. أحمد بن الحسن الأسترياذي الرضي، شرح الرضي على كافية بن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفطي، دارهجر، الجزيرة، مصر، ط: 02، 1993م.
16. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، د.ت.
17. أبو بركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 2002م.
18. جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن مبارك، محمد علي حمد الله، سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط: 01، 1384هـ/1964م.
19. أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1432هـ/2010م.

20. خالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، 1421هـ/2000م.
21. الخطيب القزويني، لإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبيدع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت.
22. علي بن محمد السيد شريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د-ت، د-ط.
23. أبو القاسم جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، ط:3، 1430هـ/2009م.
24. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، د-ط.
25. محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1401هـ/1981م.
26. ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:1، 2008م.
27. موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، د-ت.